الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 10

منزلة الإنابة

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. كنا قد فرغنا بحول الله وقوته من الحديث عن منزلة التوبة ونهايتها، يعني بداية عمل، ويعني عزم قوي وإرادة متينة وهمة عالية، من أجل أن يدرك الإنسان معالي الأمور، فإذا فرغ من منزلة التوبة أقبل بكلياته وقلبه على الله، وذلك هو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، انتهت التوبة، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، هذه الآيات تدل على أن أول منزلة بعد التوبة هي منزلة الإنابة، لأن الله عز وجل بعد أن أخبر أنه يغفر لعباده قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾، فالإنابة هي موضوع حديثنا اليوم.

الحديث عن الإنابة قليل، يعني ما سمعت من تحدث عن الإنابة إلا قليلًا، بالرغم من أنها مفردة قرآنية، هي مفردة يعني موجودة في القرآن، فمثلًا ربنا سبحانه وتعالى يتحدث عن أن التوبة معها إنابة، حتى هذا في حال الأنبياء، في قوله تعالى داود عليه السلام: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾، شنو؟ استغفر، بعده شنو؟ ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، بعد الاستغفار الإنابة. والإنابة تعني الرجوع الكامل والإقبال التام والانقياد الذي لا تردد معه، لأن من تاب أتى باندفاع، الذي يحصل له تحول في حياته، يعيش حياة فيها غفلة، فإذا تاب وبدأ يتعرف على الله، وبدأ قلبه تغير وبدأ فؤاده يتحول، فإذا به ينيب إلى الله بقوة.

الإنابة في اللغة تدور على ثلاث معاني: الإسراع والتقدم، فهم أسرعوا إلى مرضاة الله، ورجعوا إليه في كل وقت وحال، وتقدموا، لأن من معانيها التقدم، وتقدموا إلى محابه ومراضيه سبحانه. يقال: فلان أناب، رجع، فلان أناب، أسرع، فلان أناب، تقدم. وهذه منزلة الأنبياء: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾، أي سريع الإقبال، سريع المبادرة، سريع التقدم، سريع الإجابة، يجيب الله ويقبل عليه بكلياته، وتلك علامة صحة التوبة، التوبة التي تحدثنا عنها في الدروس الماضية، لأنه قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ، أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، فالإنابة هي قرينة التوبة.

من ألفاظ الإنابة الموجودة في القرآن التذكر والتأمل في خلق الله، والهداية مرتبطة بإنابة، قال تعالى عن السماء: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾، فروج معناها خلل، ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾، عبد منيب الذي أناب بقلبه ورجع وبادر وأقبل على الله بكلياته هو الذي يتذكر ويتأمل ويتفكر في هذا الخلق وفي هذه الكائنات. وسبحان الله، كل هذه المفردات القرآنية: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ مفردة، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ مفردة، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾، هذه المفردات تبين أركان الإنابة.

للإنابة أركان، يعني كيف نعرف أن هذا منيب وأن هذا غير منيب؟ لأنه يربط الإيمان بالعبودية، قال: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾، بل يعني حتى الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ، هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾، أواب من الأوبة والرجوع والإنابة إلى الله عز وجل، لكل أواب حفيظ. طيب، هذا يعني أن أركان الإنابة أربعة، لا تتحقق الإنابة في شخص إلا إذا توفرت فيه أربعة شروط. الشرط الأول محبة الله، لا يمكن أن يكون الشخص يسمى منيبًا ويستحق لفظ الإنابة والمنيب إلا مع المحبة، أن يحب الله تعالى، ولذلك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾، فالإنابة بالمحبة.

لأنه يمكن أن تريد إلى شيء ترجع إليه بكلياتك عليه وأنت مبادر، وبينك وبينه حواجز وكراهية وبغضاء، هذا في البشر. في البشر يعني أنت حتى إذا أردت أن تجلس إلى درس لتتعلم، لابد أن تحبه، من يعلمك لتتلقى منه، التلقي شنو؟ الصحيح أنت كان بتكرهه ما بتفهم منه، لكن وأنت بتحبه، هذه المحبة هي علامة الإنابة. وسبحان الله، حكمة الله أن الله هو الوحيد سبحانه الذي تخافه وتفر إليه، لأنك تحبه، أما غير الله إذا خفته فررت منه، قس على ذلك، بمعنى شنو؟ بمعنى أي شيء، الحية، والنار، أي شيء تخافه تبتعد منه، إلا الله، كلما ازددت منه خوفًا كلما ازددت إليه قربًا، سبحان الله، هذا شيء عجيب، هذا معناها المحبة، يعني أكبر

شيء يحدث هذه المسألة في النفس المحبة، وإلا ربك يخوفك ويتوعدك، الله يخوفك بتعمل شنو؟ من كان بالله أعرف كان منه أخوف، يعني كلما كنت أكثر خوفًا من الله كلما كنت أكثر قربًا منه، وأصلًا لا تخاف الله إلا بعد معرفته، فالركن في الإنابة شنو؟ المحبة.

والركن الثاني الخضوع، لا يتصور إنابة بغير الخضوع، لذلك الإنابة معها أعمال صالحة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، سبحان الله، هذه الآية عجيبة في الروم، قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، كان الله خلق الناس ابتداء ولكنهم تبدلت قلوبهم وتغيرت أحوالهم، فابتعدوا عن الله تعالى، قال تعالى في الحديث القدسي: خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، خلق الله الناس على قرب حب وخضوع لله.

طيب، الجمع بين المحبة والخضوع مهم لتتحقق العبودية والإنابة، لماذا؟ لأنك قد تحب ولا تخضع، هذا ممكن ولا ممكن؟ ممكن، سائر المحبات الطبيعية الموجودة في قلوب الناس من هذا الصنف، كيف؟ أنتم تحب ولدك ولكنك لا تخضع له، لأنه كان بتحب المرة وبتخضع لها، دي إنابة عديدة، ما في كلام، دي إنابة، أنت أنبت إلى المرأة، بإنابة إيه؟ أنت قد تحب ولا تخضع، وقد تخضع ولا تحب، قد تخضع لمن قهرك حيث لا مفر منه، ولكنك خاضع له وقلبك ليس معه، لكن الإنابة اجتماع محبة الله وشنو؟ والخضوع له سبحانه، ده الركن الثاني.

الركن الثالث في الإنابة مع المحبة والخضوع الإقبال على الله، أن تقبل على الله بكلياتك، بقلبك وجوارحك، وأن تسلم قلبك له سبحانه، وإياك أن تجعل قلبك لغيره، معظم الشرور وأكبر المفاسد في أن تجعل قلبك لغير الله، أن يتصرف فيه وأن يمتلكه وأن يجيره غير الله، حتى ولو كان شيخًا أو عالمًا أو أستاذًا، قلبك كله لربي، وسوف تجد بعد ذلك من معاني العبودية وألوان المقامات وصروف الإيمان وصنوف اللذة والمتعة والعبودية ما لم تجدها من قبل، ذلك أن تعطي قلبك لله، قلبك إذا كان غال فلا يليق ولا يحق أن يكون إلا لله. وهذي مسألة مهمة، يعني يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب القيم التحفة العراقية في الأعمال القلبية، قال: متى ما وجدت من القلب انصرافًا لغير الله كان القلب أكثر تعرضًا للشبهات والشهوات، تتلاعب به شهوات النساء وفتنهن، وأنك لا تجد رجلًا تعلق بامرأة إلا من خلل في قلبه، لو أنه أقبل على الله بكلياته وكان في قلبه ربه لما انصرف إلى غير الله، وضرب بذلك مثال، قال: يوسف عليه السلام، مع أنه شاب وكان أقرب إلى فعل الفاحشة، لكن قلبه كان مليء بمحبة الله فليس فيها موضع لغير

الله، فلذلك لم يلتفت إلى امرأة العزيز، ولأن امرأة العزيز مشركة، والإشراك على صرف القلب لغير الله، أي شيء يؤثر فيها، بمجرد أن رأت يوسف شابًا يافعًا وفتى قويًا تحركت غريزة الشهوة والجنس فيها، فراودته عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، لكن شوفوا الإقبال على الله بالكليات كان سببًا للعصمة، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ﴾ أول حاجة ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾، أهم حاجة ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾، لأنه عبودية، عبودية قلبية ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾، وكذلك شنو؟ ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾، الذين أخلصوا لله في التوجه والقصد، لذلك عصمهم الله، وهذه مسألة مهمة.

وشوف يا إخوانا، شوفوا يوسف عليه السلام وقف موقف عجيب، يعني شوف تأمل قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾، بالله معقول وهو نبي؟ طيب معلش، يعني هنخش في مسألة في التفسير، لكن ما في إشكال، لكن أتكلم عنها شنو؟ يوسف يقول: يا الله، في الزمن ده يقول: أنت زميلتي ما بشتهيها، يقولون شنو؟ ما بشتهي، ما عندي شهوة، والنية أكثر من يوسف عليه السلام؟ نيتك السليمة دي أكثر من يوسف؟ والله إلا يكون ما عندك إحساس زي الحجر ده بس، لكن راجل قاعد قدام، بتتونسوا تضحكوا، وتقول لي ما عندي، الشهوة عندك تجي، ما هي بتتكلم وتضحك وتقول لك نكتة وأنت تقول لها نكتة؟ الإمام أحمد رحمه الله يقول: لو أمنت على جبل من ذهب لوجدتني أمينًا علي، ولو أمنت على عجوز سوداء خرقاء شمطاء عوراء أخلو بها ساعة لما وجدت نفسي أمينًا عليها. بعد، ناس يقول لك: انبساط شنو؟

شوف كلام الرسول، كلامه ضد كلام الرسول، الرسول يقول: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء، شنو؟ والمصطفى عليه الصلاة والسلام يقول: اتقوا الدنيا واتقوا النساء، يعني شنو؟ يتونسوا معاهم؟ ابعدوا منه من بعيد، الناس تسمعوا اتقوا، يقول لك: لا والله.

أما الآية، إخوانا: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، يا إخوانا التفسير في هذه المسألة أقوال، لأن المفسرين من قال إن هم يوسف اختلف عن همها، همت بالفاحشة وهم بالهروب، وهم بالضغط، وبعضهم يقول الهم هو مجرد حديث النفس الذي يقع في الطبائع البشرية، بمجرد أنه يعني تكلمت معه كلام مرقص، وتكشفت أمامه وهو تحركت فيه هذه المسألة ولكنه لم يبدلها شيئًا، وإذا هم العبد بالسيئة ولم يفعلها كتبت له حسنة. ولكن التفسير الذي أرجحه غير هذا، التفسير الثالث الذي أرجحه أن يوسف لم يهم أصلًا، ليه؟ كل عبارات ومفردات السورة تدل على ذلك، المفردة الأولى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾، لو اعتبرنا الفحشاء هي الزنا ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾. قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

الْمُخْلَصِينَ﴾، هذه درجة عالية جدًا لا يليق معها الهم، قول امرأة العزيز نفسها: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾ فشنو؟ ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾، مفردة ثالثة. طيب الرابعة، المفردة الرابعة: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، وهذا القول هو قول امرأة العزيز، من الأول هي تتكلم، امرأة العزيز تتكلم.

طيب، نفسر الآية كيف؟ يا إخوان، لو رجعنا إلى اللغة يستقيم الآية في أذهاننا، للغة العربية، في حرف مهم جدًا موجود هو لولا، أما لولا هي حرف امتناع لشنو؟ لوجود. طيب معناهاش، قلنا، امتنعا لوجود البرهان، ما قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ لولا، لولا حرف امتناع، امتناع شنو؟ الممتنع في الآية شو؟ الهم. طيب، ودا في لغة العرب، التقديم والتأخير: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾، لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، لولا أن رأى ربه شنو؟ لهم بها، وده بيخلي الآية مستقيمة، ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾. لقد همت به محققا، لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، وجود البرهان منع شنو؟ منع الهم، وجود البرهان منع شنو؟ الهم.

فمحبة الله، والخضوع له، والإقبال عليه بالقلب، يا إخوانا شوف، أصلًا لا يقود إلى الله إلا سلامة القلب بأن يقبل القلب كلياته على الله. الآن قلوبنا متنازعة بين الدنيا وبين عيال وبين النساء، وهذا إذا كان في إطاره الجبلي الفطري الطبيعي الذي خلق عليه البشر ما في ذلك شق، لكن أن يكون هذا هو الأصل، وأن يكون التعلق أكثر خاصة في الدنيا، وإلا لما قال عليه الصلاة والسلام: تعس عبد الدينار، لم يضع إنسان الدينار ولا الدرهم أمامه وقال الدولار أكبر وركع وسجد وكذا، لا، لكن عبد الدولار كيف؟ بالمحبة، ولما كانوا يحبوا الناس، يا إخوان الدولار ده الناس قاعدين يحبون، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، لكن إلى درجة التعلق هذا يؤدي، يصرفه من الحب إلى شنو؟ إلى العبادة، ولذلك قال: تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، وهو عبد كده، لو خشت شوكة ما عنده وقت يجيب له منقاش يطلع الشوكة، مشغول مشغولية، ما عنده وقت.

فلذلك أقول أيها الأحبة، هذه المسألة أن الإنابة الركن الثالث فيها شنو؟ الإقبال على الله، بكلياتك. طيب، الركن الرابع الإعراض عن من سواه، يا إخوانا في حاجة مهمة جدًا، التوحيد ده مش أنك أنت تعرف الله، تعرف الله ولا تتخذ غيره ندًا ولا شريك في التوحيد، هذا معنى قوله تعالى: لا إله، تكفر بالإله، الآن في آلهة ينبغي أن الناس يكفروا بها، الآلهة الموجودة، البشر الآن يعني يعبدون، يا أخي حسن من علامات ذلك يموت شيخ يدفنوه في الجامع، في السودان يموت شيخ كبير بعد ويدفنوه في الجامع، يا إخوانا الجامع، السجود لله، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور، لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا أنبيائهم، بالأنبياء والصالحين شنو؟ مساجد، حول مقبرة للجامع، وده كله دروس في الشريعة، حرام. طبعا لا يجوز دفن غير

المسلمين في مقابر المسلمين، ووالله ما كنت أعلم أن هذا يحصل في السودان، حتى اتصل علي امرأة لا أذكر يستفتي يقول: والله عندنا مقابر في المنطقة الفلانية، قلت له: عند البيهقي في السنن أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن امرأة من أهل الكتاب زوجها مسلم وقد حملت منه، وقبل أن تلد الجنين ماتت، فاستشاروا النبي صلى الله عليه وسلم في دفنها، قال: أندفنها مع المسلمين؟ قال: كيف تدفنونها معهم وهي مشركة؟ قال: أندفنها مع النصارى؟ قال: كيف تدفنوها مع النصارى وولدها مسلم يتأذى بهم؟ قالوا: كيف نفعل؟ قال: ادفنوها بين المسلمين وبين النصارى. بهذا الحديث يمنع منعًا شرعًا أن يدفن نصراني وسط مسلمين، وأنه يشيل المسلمين وسط النصارى ما يجوز، وهذا للأسف الشديد موجود في السودان.

ومع أنه سبحان الله الشريعة، والرسول عليه الصلاة والسلام الرحيم، تعلم تمر على المسلمين تقول شيء، ولما تمر على مقابر اليهود والنصارى تقول شيء، قال: إذا مررتم بقبور أهل الكتاب فبشروهم بالنار، أبشركم بالنار، لقوله عليه الصلاة والسلام: إذا مررتم بالقبور أهل الكتاب فشنو؟ أها عاد الرسول قال لنا هنعمل شنو؟ قال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا أكبه الله في النار يوم القيامة، رواه مسلم. ما تشك فيه يا إخوانا، شوفوا الاعتقاد حتى بتاع الدفن في المقابر، لأن الرسول لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياء مساجد. يا إخوان، ما يدفنوني في جامع، ويدفنوني في مقابر المسلمين مع المسلمين، ادفنوني مع المسلمين، تراب القبر، لا يزاد على القبر شيء. إخوانا فلنفرض أنا إمام في جامع الأحساء وبعلم الناس وبقريهم، أموت يدفنون في الجامع هنا، وبعدين ما في حد.

يا إخوان شوفوا السلف الصالح، الصحابة عندهم شيء، حذيفة ابن اليمان في سكرات الموت جابوا له كفن، الكفن جديد، والأيام أيام شدة، الناس عريانين، يعني شوفوا الصحابي ده، قال لهم: يا إخوانا غيروا هذا الكفن الجديد وانفعوا به حيًّا، قال لهم: انفعوا بها حية، وكفنوني بأي كفن، فإنني لا ألبث في لحدي، إن كنت من أهل الجنة أبدلني الله بكفن من الجنة فما يغني كفنه، وإن كنت من أهل النار أوقده الله علي نارا فما يغني عني كفنكم. هذا عنده فهم ولا ما عنده فهم؟ وريني، وريني الميت حيستفيد شنو؟ بالضر الحي، لأنه الناس لما يشوفوا القبر عنده قبة بتجون هيبة، وهذا يدل على التعظيم ويقود إلى تقديس البشر وعبادتهم من دون الله.

لذلك يعني هذه الجزئية مهمة جدًا أيها الأحبة، وشوف أنا أوريك، الإعراض عما سوى الله يقود الإنسان إلى الاستقامة. ذو النون المصري رحمه الله من العارفين عنده قصة عجيبة جدًا حكاها أهل السير، قالوا: ذو النون كان يجلس في المسجد إلى وقت متأخر بعد العشاء، ثم يرجع إلى بيته، يمر بالطريق، فتنت به فتاة، في

واحدة وكذا، نفسها الشهوانية دخلت فيه، هي تريده بهذا الوجه الوضيء وهذه الهيئة الوقورة أن يفجر بها، فانتظرته في يوم من الأيام على الباب، وليس عليها شيء إلا قميصها، فستان بس، الشعر كاشف، لما دنا رأى امرأة خارج الباب، معناته شنو؟ في مصيبة، يدخل البيت يريد أن يدفع المكروه، فدخلت خلفه وأغلقت عليه الباب، وقالت له: ما ثمة مستغيث، ما في صوت ولا في كذا، ولا لكني أردتك لنفسي، فتكلم معه، قال: هذا لا يحل، قالت: أنا لا أعرف، ما بعرف بحق ولا بشيء، إلا تفعل، الدنيا ليل، أصيح وأجمع عليك الناس، وطبعا بكل المقاييس الناس طوالي، فأصلًا ما في مجال.

قال لها: طيب، أنا بالنسبة لي أن يخفف ربي علي، أريد أن أصلي له، قالت: صل ما شئت، خلاص قافلة الباب، فصلى وأقبل على الله بكلياته أن يصرف عنه السوء كما صرفه عن يوسف عليه السلام، قال: اصرفه عني. لما سلم تغيرت المرأة، حصل لها شيء، أغشي عليها، قالت: ما الذي أتى بك في هذه الدار يا رجل؟ قال لها: رجل لعب به الشيطان، قالت: استغفر ربك، وقم من مكان واخرج من هذا الباب ولا تعد، فتح الباب ومشى. الله بيقدر ما بيقدر؟ بيقدر يحول قلبه ولا بيقدر يحول قلبه؟ في ثواني.

ده عن العصيان، يا إخواننا في حاجة مهمة جدًا، أي معصية تكدر عليك الذي بينك وبين الله، وما في ذلك شك، لا يمكن أن تتعرض لمقت الله وبغضبه وأن يكون قلبك سالم لكليته، لابد أن تنتقص منه نقيصًا، وأن يتكدر كدر، وأن يزهق منه شيء، شعبة، لابد من ذلك، لذلك لا تستهون المعصية حتى ولو كانت هذه المعصية لا تدخلك النار، اعلم أنها سوف تكدر عليك ما بينك وبين الله، هذه الجزئية مهمة جدًا.

طيب، الإنابة إنابتان، هذه أركانها: محبة وخضوع وإقبال وإعراض، إقبال على الله بالكليات، وإعراض عن شنو؟ عما سوى الله. بعد ذلك الإنابة إنابتان، الإنابة الأولى الإنابة العامة، الإنابة للربوبية، وهذه كل الخلائق يرجعون إلى الله، كافرهم ومؤمن وبرهم وفاجرهم، طيب ملحدهم يشعر بإنسانيته وضعفه، ماذا يفعل؟ يخرج إلى شنو؟ إلى النوم، من الذي جعل له الليل؟ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾، فسكونهم، وأن الله أعطاه النوم وهبه، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾، ثم ما من مخلوق إلا ويجوع، فإذا جاع ماذا يفعل؟ ذهب إلى الطعام منيبًا، من الذي أطعمه؟ إنه ربك وهكذا، هذه إنابة عامة، إنابة كل الكائنات وكل الخلق إلى الله، قسرًا، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، خلق الله الخلق عاجزين ضعفاء يحتاجوا إليه ويفتقروا إليه ويريدوا إليه، الإنابة العامة ضرب من دروب العبودية العامة، عشان كده قال: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾، ليست العبودية الخاصة،

عبودية المحبة والإقبال والخضوع، إنما هي عبودية الحاجة، لأنهم مفتقرون إلى الله شنو؟ محتاجون إليه، في مخلوق ما محتاج؟ هم محتاجين يلجأوا إلى الله، يفتقرون إليه، تمتلئ بطونهم فيحتاج إلى تخليتها، قل وقس على ذلك.

هذه الإنابة العامة ذكرها الله، إنابة للربوبية، اللي هو الربوبية الملك والخلق والتصريف والأمر وكذا، طيب، والتدبير وكذا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، حتى المشركين يركبوا البحر، والمشركين في البر يقول لك: لا، هاتوا العزى، لما أركب البحر بيقول: يا الله، ها؟ يا أخي أنت عارف في ملاحدة، يقول لك: الله ما في، تقول: يا لطيف، يا الله يا الله يا لطيف، عامة شنو؟ عامة، ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا﴾ شنو؟ ﴿رَبَّهُم﴾ شنو؟ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، أشركوا في البر. عشان كده في عربي، واحد سأله، قال له: وهل ركبت البحر يومًا؟ هل ركبت البحر يومًا؟ قال: نعم، قال: إذا هاجت الريح أنك تحتاج إلى من ينقذك؟ قال: نعم، قال: ذاك هو الله. سبحان الله، شيء عجيب، البحر ده بالذات خطر، والله البحر ده، السفينة والكبيرة دي والله زي علبة الكبريت في البحر ده، بالله يا أخي البحر ده مخيف جدًا، علامة وآية كبرى من آيات الله، شوف ربنا خلق وما في البحار من كائنات.

هذه هي الإنابة العامة، أما الإنابة الخاصة هي إنابة العبودية والمحبة، وهي التي أركانها قلنا شنو؟ أربعة، فالأركان الأربعة: المحبة والخضوع والإقبال والإعراض عما سواهم تتعلق بالمحبة بالإنابة الخاصة. طيب، كيف نحقق الإنابة؟ إذا كنت على معصية أو حتى على حالة لا ترضي الله، وتحولت عنها وأردت، أول شيء لابد أن تتبع التوبة إصلاح، إصلاح الحال، يقول تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ كويس؟ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾، التوبة ينبغي أن تتبع بالعمل الصالح.

طيب، مسألة مهمة جدًا، قال ابن القيم عن الإنابة: الإنابة الرجوع إلى الله، لكن أهم شيء في الرجوع إلى الله، الرجوع إلى الله وفاء وعهدًا. الرجوع إلى الله شنو؟ وفاء وعهدًا، كيف؟ أنت أصلًا من الأول معاهد الله، لمن ترجع إلى الله توفي بشنو؟ بهذا العهد الذي بينك وبين الله، وتوفي بالعهد الذي بينك وبين الخلق، في قصة عجيبة في صحيح البخاري، رواها البخاري رحمه الله تعالى، وقصها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كان فيمن كان قبلكم في بني إسرائيل رجل استقرض أخاه دينار، ألف شنو؟ دينار، فقال له: أبغي وكيلًا، أبغي شاهدًا، قال: الله كفيل، قال: قبلته، مش قلت الله شهيد؟ أداه الألف دينار، وقال له: متى؟ قال: بعد كم؟ مثلًا شهر، قال له: بعد شهر، حكاها الرسول عليه الصلاة والسلام. أخذ ألف دينار يريد أن يرجعها إلى الرجل، إلى التاجر، ولكن البحر كان هائجًا، ولم تكن فيه سفينة ولا مركب، قال: هذا الرجل الذي يريد أن

يرجع المال أخذ خشبة طاف فوق البحر، قال: ألف دينار وربطه، قال: يا ربي إن هذه ألف دينار شهيدًا فأشهدتك، فرضيت، وطلب مني كفيلًا وإني قد اتخذتك كفيلًا وشهيدًا، اللهم إن كنت صادقًا اللهم أوصل له هذه، ورماه في البحر.

قال عليه الصلاة والسلام: وصاحبها التاجر ينتظرها، فلما لم يجد أخذ هذه الخشبة وهو لا يعرف أن فيها ماله، قال: وذهب إلى زوجه، قالت له: هل جاء صاحبك؟ قال: لا، قال لها: لا، قال: اصنعي لنا بها طعامًا، لما فتحتها وقلبتها وجدت الألف دينار ومعها الورق. قال عليه الصلاة والسلام: ثم بعد يومين أخذ ألف دينار أخرى في جيبه، وقد استقر البحر، ركب سفينة أو مركبًا ثم ذهب وبحث عن التاجر، وقال له: تأخرت قبل يومين وكنت أريد أن أبلغك المال والآن أتيت به، قال: المال قد وصلني وأخذته، رد عليك ألف دينارك. ده في البخاري، رفعة عالية جدًا على وفاء شنو؟ عالي، وعلى صدق مع الله كبير.

والغرض من هذه الدروس ومن مدارج السالكين، أن يرقي النفس إلى درجة الصدق والصفاء مع الله، يقبل الإنسان على العبادة والطاعة وكذا، يعني في منزلة الإنابة هذه يقول ابن القيم: الإنابة تحتاج إلى أعمال ولكن بين الأعمال وبين القلب مسافة، كثير من الناس يعمل أعمال لكن هل هذه الأعمال، هل أكثر هذه الأعمال يصل قلبه إصلاحًا له؟ هل الصلاة تصلح جوفه وباطنه؟ هل صدقتهم تصلح سريرتهم؟ قال: وبين القلب مسافة أيضًا، بين القلب وبين الرب شنو؟ بين القلب وبين الرب مسافة بقواطع في الطريق، في طريق القلب، تقطع القلب أن يصل إلى الله، كيف؟ رؤية العمل ونسيان المنة، رؤية شنو؟ العمل ونسيان المنة، شو يقول لك العمل دا؟ جبته بقوتك، ما تقول الله وفقني، ما تقول الله أعانني على ذكره، دا اسمه رؤيا شنو؟ نسيان المنة، إذا عملت عمل صالح ما منك من الله، يمنون عليك أن أسلموا: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

لذلك هذا هو الدرس، نواصل إن شاء الله في درس الإنابة أو جزء من الإنابة، الدرس القادم إن شاء الله. أسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم كل ما يحبه ويرضى، وأن يأخذ بنواصينا الخاطئة الكاذبة إلى البر والتقوى، وأن يتقبل منا وإياكم أجمعين، وأن يحبب إلينا الإيمان وأن يزينه في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلنا وإياكم من الراشدين.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/10/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com